١٦ الابتلاء أسبابه وعلاجه

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

أيها المسلمون: هذه الدنيا هي دار الابتلاء والامتحان فالقليل ممن

يوفقه الله للثبات على دين الله وشرعه، لكثرة ما فيها من الابتلاءات والمحن.

ولله در من قال:

من يعش يكبر ومن يكبر يمت والمنايا لا تبالي من أتت

نحن في دار بلاء وأذى وشقاء وعناء وعنت

منزل لا يثبت المرء به سالمًا إلا قليلًا إن ثبت

والابتلاء هو الاختبار والامتحان قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [الملك :٢] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الكهف :٧] .

والابتلاء من الله للعباد على قسمين:

١- ابتلاء بالشر.

٢- ابتلاء بالخير: قال الله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ [الأنبياء :٣٥] .

قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : « نبتليكم بالشر والخير فتنة، بالشدة والرخاء، والصحة والسقم، والغنى والفقر، والحلال والحرام، والطاعة والمعصية والهدى والضلال » .[1]

وقال أبو الهيثم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : البلاء يكون حسنًا ويكون سيئًا وأصله المحنة والله - عَزَّوَجَلَّ - يبلو عبده بالصنع الجميل ، ليمتحن شكره ، ويبلوه

(١) ابن كثير ج٣(١٧٤)، وضعفه الشيخ أحمد شاكر تفسير الطبري ج١٩(٢١٦) .

بالبلوى التي يكرهها ليمتحن صبره .[١]

ولهذا يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ وَلِيُبْلِيَ ٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال :١٧] .

وفي مستدرك الحاكم[٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « دعا رجل من الأنصار من أهل قباء النبي ﷺ فانطلقنا معه ، فلما طعم و غسل يديه ـ أو قال : يده ـ قال : الحمد لله الذي يطعم و لا يطعم ، من علينا فهدانا ، وأطعمنا و سقانا و كل بلاء حسن ، أبلانا الحمد لله غير مودع و لا مكافئ ولا مكفور ، و لا مستغنى عنه ، الحمد لله الذي أطعم من الطعام ، وسقى من الشراب ، وكسا من العري ، وهدى من الضلالة ، وبصر من العماية ، وفضل على كثير ممن خلق تفضيلًا ، الحمد لله رب العالمين » .

عباد الله:

الابتلاء لابد منه ولا خلاص منه البتة ولا يكاد أحد يسلم منه فهو سُنَّة الله في خلقه،ولن تجد لسُنَّة الله تحويلًا: قال الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد :٣١] .

قال إبراهيم بن الأشعث كان الفضيل بن عياض -رَحِمَهُ اللَّهُ- : إذا قرأ هذه الآية بكى ويقول: اللهم لا تبتلينا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

أيها المؤمنون: فالابتلاء حاصل ، ولكنه يختلف من شخص إلى آخر ، فمنهم من يبتلى بالخوف ، ومنهم من يبتلى بالجوع ، ومنهم من يبتلى بأخذ ماله، ومنهم من يبتلى بأخذ أولاده وأحبابه ، ومنهم من يبتلى بأخذ ثمرته، ومنهم من يبتلى بتسليط الأعداء عليه ، ففي هذه الآيات بيان لذلك:

(١) تفسير القرطبي ج١(٣٨٧) .
(٢) الحاكم ج٢(٥٤٦) وحسنه شيخنا الوادعي في الجامع الصحيح ج١(٥٤٦)

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧] .

وقال تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [العنكبوت:١-٣] .

وقال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ۖ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ ۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾ ﴾ [العنكبوت:١٠-١١] .

وقد أخبر النبي ﷺ عن كثرة البلاء في هذه الأمة: ففي صحيح مسلم[1] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... **إن أمتكم هذه جعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء، وأمور تنكرونها..**» .

وفي صحيح مسلم[2] أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **والذي نفسي بيده، لا تذهب الدنيا حتى يمر الرجل على القبر فيتمرغ عليه ويقول: يا ليتني كنت مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدين إلا البلاء**» .

وبعد هذا يكون بلاء عظيم في السراء والضراء وفي الشدة والرخاء

---

(١) مسلم برقم (١٨٤٤) .
(٢) مسلم برقم (٢٩٠٧) .

لهذه الأمة ولذلك يقول الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ ﴾ [البقرة :٢١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤٢] .

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [التوبة :١٦] .

وقال تعالى : ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾[آل عمران :١٨٦] .

وتأملوا معاشر المسلمين في قوله : ﴿ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ﴾ ولم يقل أذى قليلًا فالأذى تارة يكون بالتهديد بالسجن والنفي من البلاد والتشديد والتضييق وتارة يكون بالإغراء بالمال والجاه والدنيا وتارة يكون بالحملات الإعلامية على الدعوة والدعاة وذلك بتشويه صورتهم وتنفير الناس عنهم وعن الخير الذي عندهم وعدم التعاون معهم أو التعاطف في قضاياهم ولربما كذبوا وأوذوا .

وقد ثبت في مُسند الإمام أحمد [١] عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إن أمام الدجال سنين خداعة ، يكذب فيها الصادق ويصدق فيها الكاذب ، ويخون فيها الأمين ، ويؤتمن فيها الخائن ، ويتكلم**

(١) أحمد برقم (١٣٢٩٨) حسنه شعيب الأرنؤوط.

فيها الرويبضة » قيل وما الرويبضة قال:« **الفويسق يتكلم في أمر العامة** »

أيها المسلمون: أشد الناس بلاءً الأنبياء ثم الصالحون فقد جاء عند ابن ماجه [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك ، فوضعت يدي عليه . فوجدت حره بين يدي فوق اللحاف ، فقلت يا رسول الله ما أشدها عليك قال: « **إنا كذلك، يضعف لنا البلاء ويضعف لنا الأجر** » ، قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء قال : «**الأنبياء**»، قلت يا رسول الله ثم من ؟، قال : « **ثم الصالحون ، إن كان أحدهم ليبتلي بالفقر، حتى ما يجد أحدهم إلا العباءة يحويها ، وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء ،كما يفرح أحدكم بالرخاء** » .

وفي سُنن ابن ماجه [٢] أيضًا عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال قلت يا رسول الله أي الناس أشد بلاء ؟ قال : « **الأنبياء ثم الأمثل ، يبتلى على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه من خطيئة** » .

ولقد ضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في الصبر والثبات على البلاء آذاه المشركون بكل أنواع الأذى وهو صابر فقد ثبت في مُسند الإمام أحمد [٣] عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : « أول من أظهر إسلامه سبعة ، رسول الله ﷺ ،وأبو بكر، وعمار، وأمه سمية ،وصهيب ، وبلال ،والمقداد، فأما رسول الله ﷺ فمنعه الله بعمه أبي طالب ،وأما أبو بكر فمنعه الله بقومه، وأما سائرهم فأخذهم المشركون فألبسوهم أدراع الحديد وصهروهم في الشمس ، فما منهم إنسان إلا وقد واتاهم على ما أرادوا إلا بلال ،

(١) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٢٤) .
(٢) صحيح ابن ماجه برقم (٤٠٢٣) .
(٣) أحمد برقم (٣٨٣٢) وصححه شيخنا الوادعي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى- في الصحيح المُسند مما ليس في الصحيحين برقم (٨٤٧) .

فإنه هانت عليه نفسه في الله ، وهان على قومه فأعطوه الولدان ، وأخذوا يطوفون به شعاب مكة وهو يقول : أحد أحد » .

وهكذا جرى للمؤمنين من البلاء الكبير في غزوة الأحزاب فصبروا وثبتوا حتى جعل الله لهم فرجًا ومخرجًا ، قال الله تعالى: ﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ۝١١ ﴾ [الأحزاب :١٠-١١] .

وهذا الإمام أحمد بن حنبل -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- ابتُلي في مسألة خلق القرآن فصبر صبرًا عظيمًا ، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل: حدثني ثابت بن أحمد ابن شبويه، قال: كان يخيل إلي أن لأبي فضيلة على أحمد بن حنبل لجهاده، وفكاك الأسرى، فسألت أخي عبد الله، فقال: أحمد بن حنبل أرجح، فلم أقنع، فأُريت شيخًا حوله الناس، يسألونه، ويسمعون منه، فسألته عنهما، فقال: سبحان الله ! إن أحمد بن حنبل ابتلي فصبر، وإن ابن شبويه عوفي، المبتلى الصابر كالمعافى ؟ ! ، هيهات.[1]

نسأل الله أن يوفقنا لحسن القول والعمل ، وأن يعيذنا من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن، وأن يحفظنا من الشر، والوقوع في الزلل.

اللهم يسر أمورنا ،واشف صدورنا ، واجعلنا من عبادك الصالحين .

والحمد لله رب العالمين.

(١) سير أعلام النبلاء ج١١(٨) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على نبيه المصطفى ،وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجه واقتفى.

أما بعد: فاتقوا الله عباد الله واعلموا أن الابتلاء سُنَّة الله في خلقه فيه فوائد عظيمة وحكم سامية وثمرات نافعة فمن ذلك:

التمحيص والتمييز بين الخبيث والطيب: قال الله - جَلَّوَعَلَا - : ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤١] .

وقال تعالى : ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران :١٥٤] .

والتمحيص على نوعين: أحدهما: تمحيص للصفوف كما قال تعالى: ﴿ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٤١] .

ثانيهما: تمحيص للذنوب كما قال تعالى: ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾

قال ابن كثير -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : أي: يكفر عنهم من ذنوبهم، إن كان لهم ذنوب وإلا رُفعَ لهم في درجاتهم بحسب ما أصيبوا به. (١)

وقال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمۡ عَلَيۡهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ﴾ [آل عمران :١٧٩] .

ومن ثمرات الابتلاء تكفير السيئات: ففي الصحيحين (٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمَا عن النبي ﷺ قال : « **ما يصيب المسلم**

(١) التفسير ج١(٣٨٦) .
(٢) البخاري برقم (٥٦٤٢) ومسلم برقم (٢٥٧٣) .

من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه » .

وثبت عند الترمذي[١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ: «**ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة ، في نفسه وولده وماله ، حتى يلقى الله وما عليه خطيئة** » .

ومن ثمرات الابتلاء رفع الدرجات:

فقد جاء عند الحاكم [٢] وغيره عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن الرجل تكون له المنزلة عند الله ، فما يبلغها بعمل، فلا يزال يبتليه بما يكره حتى يبلغه ذلك** » وفي لفظ : « **حتى يبلغه إياها** » .

قال الإمام ابن القيم [٣] -رَحِمَهُ اللَّهُ- : «..أنه سبحانه هيأ لعباده المؤمنين منازل في دار كرامته لم تبلغها أعمالهم ولم يكونوا بالغيها إلا بالبلاء والمحنة فقيض لهم الأسباب التي توصلهم إليها من ابتلائه وامتحانه كما وفقهم للأعمال الصالحة التي هي من جملة أسباب وصولهم إليها» .

وكما قال سبحانه ﴿ **إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ** ﴾ [آل عمران :١٤٠] .

وسأل رجل الشافعي فقال: يا أبا عبد الله أيما أفضل للرجل أن يمكن أو يبتلى ؟، فقال الشافعي: لا يمكن حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين-

---

(١) صحيح الترمذي برقم (٢٣٩٩) .
(٢) المستدرك ج١(٣٤٤) والسلسلة الصحيحة للألباني: برقم (٢٥٩٩) .
(٣) زاد المعاد ج٣(١٩٨) .

فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة. (١)

ومن ثمرات الابتلاء أن ينال العبد محبة الله :

فقد ثبت عند الترمذي (٢) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال :قال رسول الله ﷺ : « **إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا وإذا أراد الله بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة** » .

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أيضًا أن النبي ﷺ قال « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء وإن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط »

ومن ثمرات الابتلاء الإنابة إلى الله بالتوبة والاستغفار:

قال علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة (٣).

ومن ثمرات الابتلاء كثرة الثواب لأهل البلاء يوم القيامة:

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر :١٠] .

قال الإمام الأوزاعي -رَحِمَهُ اللَّهُ- : ليس يوزن لهم ولا يكال ، إنما يغرف لهم غرفًا. (٤)

وفي سُنن الترمذي (٥) عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : قال رسول الله ﷺ : « **يود أهل العافية يوم القيامة ، حين يعطى أهل البلاء الثواب ، لو أن**

(١) فوائد الفوائد ص (١٨٨) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢٣٩٦) .
(٣) الداء والدواء ص (١٧٩) .
(٤) تفسير ابن كثير ج٤(٤٩) .
(٥) صحيح الترمذي برقم (٢٤٠٢) .

جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض » .

معاشر المسلمين: هناك وسائل للثبات عند الابتلاء فمنها:

١- الصبر والمصابرة والتقوى: قال الله تعالى: ﴿ لَتُبْلَوُنَّ فِيٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [آل عمران: ١٨٦] .

وقال تعالى ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠] .

وقال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٩٠] .

وفي الصحيحين [١] عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «... **ومن يتصبر يصبره الله وما أعطي أحد عطاءً خيرًا وأوسع من الصبر**».

٢- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء اللجوء إلى الله وسؤاله الثبات عند الابتلاء: قال الله تعالى عن بعض الصالحين: ﴿ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٠] .

وقد كان النبي ﷺ يسأل الله الثبات دائمًا: ففي سُنن الترمذي [٢] عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: « **يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك** » فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به فهل

(١) البخاري برقم (١٤٦٩) ومسلم برقم (١٠٥٣) .
(٢) صحيح الترمذي برقم (٢١٤٠) .

تخاف علينا ؟، قال: « **نعم ، إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبهما كما يشاء** » .

٣- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء معرفة الطريق ، فالطريق وعرة ومحفوفة بالشهوات والشبهات والمكاره :ففي الصحيحين [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال : « **حجبت النار بالشهوات وحجبت الجنة بالمكاره** » .

قال الإمام ابن القيم -رَحِمَهُ اللَّهُ- : «.... أين أنت والطريق، طريق تعب فيه آدم، وناح لأجله نوح، ورمي في النار الخليل، واضطجع للذبح إسماعيل، وبيع يوسف بثمن بخس، ولبث في السجن بضع سنين، ونشر بالمنشار زكريا، وذبح السيد الحصور يحيى، وقاسى الضر أيوب، وزاد على المقدار بكاء داود، وسار مع الوحش عيسى، وعالج الفقر وأنواع الأذى محمد ﷺ ، بينما تزها أنت باللهو واللعب». [٢]

٤- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء ذكر الله تعالى :قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُواْ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [الأنفال :٤٥] .

٥- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء كثرة الصلاة:قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[البقرة :١٥٣] .

٦- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء التوكل على الله ومعرفة أن كل شيء بقضاءٍ وقدر: قال الله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [الحديد :٢٢] .

---

(١) البخاري برقم (٦٤٨٧) ومسلم برقم (٢٨٢٢) .
(٢) فوائد الفوائد ص(٤٨٥) .

ولهذا لما طلب الحجاج سعيد بن جبير يريد قتله بكى رجل فقال له سعيد ما يبكيك قال لما أصابك قال سعيد فلا تبك إذًا لقد كان في علم الله أن يكون هذا الأمر ثم تلا هذه الآية.

٧- ومن وسائل الثبات عند الابتلاء الالتفاف حول العلم والتعليم ومجالسة العلماء الراسخين العاملين بالعلم والاستماع إلى نصائحهم وتوجيهاتهم فإنها تز يد الإيمان وتثبت الأقدام: ولهذا قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- في شيخه ابن تيمية -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط ، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق ، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا ، وأشرحهم صدرًا ، وأقواهم قلبًا ، وأسرهم نفسًا تلوح نضرة النعيم على وجهه ، وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون ، وضاقت بنا الأرض ، أتيناه فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله ، وينقلب انشراحًا وقوة ، ويقينا وطمأنينة ، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها في دار العمل ، فآتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها . [1]

اللهم عافنا واعف عنا واشف مرضانا ، وعاف مبتلانا ، واقض الدين عن مديننا ، وفرج عن مكروبنا ، واكشف السوء عن مهمومنا، اللهم آمن روعاتنا واستر عوراتنا ، وول علينا خيارنا ، ولا تول علينا شرارنا ، سبحان ربك رب العزة عما يصفون ، وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين.

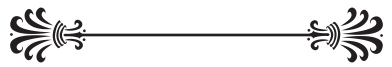

(١) الوابل الصيب ص (٧٠) .